

رعاياه ، مجارة للمرف الذي شاع في تلك الأقاليم النائية منذ سموها
بالولاية المثنائين

ولم يكن اسمه بيلاطس ولكنه عرف بإيم بريدج ، أو قد شاء
المؤلف أن يعرفه لنا بهذه التسمية ، وقد عالج مسألة كالتى عالجها
الوالى الرومانى على نحو كالتى انتجاء ذلك السلف القديم ، فهو
من ثم بيلاطس حديثاً !

وبيلاطس باشا هو اسم الرواية التى تقص لنا نبأه مع مسيحه
عيسى بن النجار ، وتشرح لنا من أحوال السودان الأعلى ما يعنى
عن مطولات فى السياحة والتاريخ ، وتمثل لنا بقلم مؤلفها
ميكائيل فوسيت Michael Fausset وثيقة صحيحة من وثائق
الاستعمار البريطانى فى القارة الأفريقية

أول فائدة تستفاد من قراءة هذه الرواية أن يأتى عليها القارىء
الذى له معرفة يسيرة بأهل السودان فلا يلبث أن يقول : نعم !
هذا يحصل !

ثم يرجع إلى تاريخ السيد المسيح فىرى من الموافقة والمخالفة
ما يدل على الجائر وغير الجائر من ذلك التاريخ ، ويقول على بصيرة :
نعم هذا محتمل الحصول ، وهذا لا يقع فى الاحتمال
ولا ريب عندنا فى أن المؤلف قد جهد بعض الجهد لتقريب

الموافقة والمشابهة بين التاريخين
فاسم المهدي السودانى الذى تحدث عنه « عيسى » ، واسم أمه
« مريم » ، واسم الخاطئة التى صبت على رأسه الطيب مريم المغربية ،
وصناعة الرجل الذى دل عليه الصرافة ، وكراماته أو الكرامات
النسوبة إليه شبيهة بمعجزات السيد المسيح ، والحوار بينه وبين
الدير بريدج كالحوار بين المسيح عليه السلام وبيلاطس ،
والأسباب التى أثارته الجهرة ورجال الدين على مهدي السودان
الأعلى هى الأسباب التى أثارته الجهرة والأخبار على رسول
الناصر ، والموعود يوم عيد ، وكل شيء متفق متقارب حتى رجاء
الشعب من الحاكم أن يطلق لهم نخاساً سفكاً للدماء كعادته
فى المفزع عن بعض المسجونين فى أيام الأعباد

ولكن العجيب من أمر الرواية أن من يجهل تاريخ المسيحية
يقرأها فلا يستفهمها ولا يشعر بجهد المؤلف فى ذلك التقريب
والتوفيق لأنها إذا حصلت فأغلب الظن أن تحصل هكذا بنسب
اختلاف كبير

بيلاطس « باشا »

للأستاذ عباس محمود العقاد



بيلاطس هو الوالى الرومانى الذى حكم البلاد اليهودية من
قبل الامبراطور طيبريوس عشر سنوات ظهر فى أثناءها السيد
المسيح وسبق إليه متهماً بما نسميه اليوم « الحياة العظمى »
والانتفاض على النظام القائم والدولة الحاكمة . نغشى بيلاطس
أن يطلقه وأشفق من الحكم عليه وهو لا يدينه بجرعة ، فأسله
إلى قومه يدينونه بما عندهم من شرعة ، ويجزونه بما اصطلحوا عليه
من عقاب

وكان بيلاطس رجلاً حاداً أريباً ولكنه فى بعض الأمور
موجع الأساليب معرض للريبة والشكاية إلى « المراجع العليا »
كما تقول اليوم

فمن أساليبه أن اليهود ناروا عليه بتحريض الكهنة والرؤساء
فلم يقمهم بقوة القانون ، ولم يرسل عليهم الجند ظاهرين ، ولم يحمل
أمام الناس وأمام المزاجع العليا تبة القمع والقسوة فى علاج هذه
الثورة ، بل ألبس الجند ثياب الشعب وسلحهم بالذى والخناجر
وأمرهم أن يندسوا فى غمار الشعب الهاجج فيمعنوا فيه تجريحاً
وتقتيلاً حتى يتفرق الجمع وتثوب المدينة إلى السكينة ، ولا جناح
عليه فيما زعم ، فإما هى مشاجرة جامحة بين يهود ويهود !

أمثال هذه الأساليب مع شيء من الطمع وشيء من الترف
هى التى أخافت من اليهود ومن رفهم أمره إلى عاهل الرومان
فأسلمهم السيد المسيح وهو يقول فى ضميره كما هو رأيه : يهود
فى يهود !

هذا هو بيلاطس . فمن أين جاءته الباشوية التركية ولم تظهر
لها دولة فى أيامه ، ولم يكن لها معنى فى ذلك العهد معروف ؟
لم يحته الباشوية التركية ولكنها جاءت إلى رجل يشبهه
أقرب الشبه فى العصر الحديث ، وهو حاكم الإقليم المعروف ببحر
الجاموس من أقاليم السودان فى أعلى النيل ، وهو كسائر الحكام
هناك انجليزى صميم لعله لا يحمل اللقب من الترك ولا من المصريين ،
ولكنه « وال » والوالى هناك لا يكون إلا « باشا » فى لسان

وجاء على لسان أحدهم : « من هم المسلمون حق الإسلام في زماننا هذا ؟ ! إنهم لنحن نحن طلاب الحقائق العلمية . إنهم لنحن نحن أصحاب الإيمان بالتوحيد الشامل لأبعد الكواكب وأصغر الذرات ، وعلى ديننا هذا يدور العمل وتأتي الأعاجيب من اليابان إلى فلباريزو، ومن رأس الرجاء إلى سبتزبرجن، إلى ما وراء هذه وتلك من أرجاء القطبين . نحن نطلب الحق وليس غير الحق نطلب . ونحن لا نتبع نبياً واحداً ولكننا نستقصى كل شيء ، ونحصى كل شيء ، ونبذ كل باطل . ونرفض كل ضلال »

ومع عناية هؤلاء الحاكين بالخفايا النفسية في الرعايا الفطرين أو ذوى النصب المحدود من الحضارة ترام لا ينسون العناية بإرضاء القوم ومجاراتهم فيما يشتهون مما لا ضرر فيه فيبعث الزعيم من الزعماء البدوين إلى الحاكم في طلب طبيب يشفيه من عراج مزمن فلا يرده الحاكم ولا يئس منه من الشفاء، بل يكلف خير أطبائه أن يحمل معه الجهاز الكهربائي والبلاسم الضرورية ويروده بالنصائح التي تنفعه عند الرجل وذويه ... ثم لا ينسى أن يهمس في أذنه وهو منصرف : ولا تنس أن تأخذ معك شيئاً من عقاقير الباه فإنهم سائلوك عنها لا محالة وفي مقدمتهم المريض !

وإذا حسن لديهم أن يتوخوا مظاهر الهيبة بين المحكومين فليس ذلك بمانهم أن يحتالوا على تليقهم ومجاملتهم كأنهم خدم مسخرون في طاعة السادة ذوى الأهواء والبدوات . وهكذا يساس الملك في جميع الأقطار ، ولا سيما في أقطار بلخس حاكمها مشاكها كلها فيقول : إنها تنحصر في مشكلة واحدة وهي : « مسافات الأماكن ومسافات الأحوال »

عباسي عمود العقاد

وقد سمعنا نحن بأنباء مهدين متعددين ظهوروا في تلك الأقاليم ، وسمعنا عن واحد منهم أباح بعض المحرمات ورفع بعض التكاليف، واحتج لذلك بما شاء من التعلات والتاويلات . ويخيل إلينا أنه هو هذا الذي عناه صاحب الرواية لقربه من مكانها ، وقربه كذلك من زمانها ، وهو حوالمى مقتل « لى ستاك » حاكم السودان ، فإن كان في الرواية توفيق مقصود فليست فيها مبالغة ولا شذوذ عن المعقول

على أن القارىء لا يستفيد هذه الفائدة وحدها من قراءة الرواية لأنه يعرف منها أشياء شتى عن أساليب الإنجليز في استثمارهم لأمثال تلك الأرجاء، وسياستهم لأمثال تلك الشعوب، واضطلاعهم بتصرف الأزمات وهم بعيدون عن الرؤساء كلما طرأ من الحوازب ما يدعو إلى تصرف سريع فالحاكم « بريدج » يعرف العربية معرفة جيدة ، وهو ومساعدوه يقرأون تاريخ النوبة وتاريخ الإسلام وسيرة النبي عليه السلام ومذاهب العلماء في الظواهر النفسية والنقائض الاجتماعية ، ويتتبعون أخبار الاستثمار في الدول الأخرى فيمتشرون بها أو يقيسون عليها ويأخذون بصوابها ويجتنبون أخطأها فإذا شغلوا الناس بالألماب والسباقات في المواسم الوطنية أو المواسم الإنجليزية فلملة يصنعون ذلك لا لمجرد اللو وترجية الفراغ . أو كما جاء على لسان واحد منهم وهو يتكلم عن الحاكم : « لقد تعلم مما قرأ عن مجرى الأمور في ميلانيزيا وغيرها من جزائر المحيط الهادى ، فإن للبشرين هنالك قد غيروا من عقائد أبناء البلاد ، فأعرض هؤلاء عن المراك فيما بينهم وزهدوا في الرقص وليالي السرور، وضعفت في نفوسهم حمية الحياة وشهوة البقاء . إنهم لا يعيشون أو لا يرسلون شعلة الحياة إلى مابعدهم من الأجيال فهم على وشك الانقراض . وهكذا يحدث هنا فيوشك أن ينقرض القوم أو هم على الأكثر متأسكون لا ينمون مع الأيام . لقد منعنا المرأة أن يقتلوا ، ومنعنا العرب أن يغيروا على المرأة ، فشق على هؤلاء وهؤلاء أن يشغلوا أنفسهم وأن يفتأوا ما في طبائهم من شوق إلى الصيد والنضال ، وفارقهم حماسة الميث . فهذا الذى جعل الحاكم بريدج مهموماً بإيقاظ تلك الطبايع وتوجيهها بعد تهذيبها إلى حب الرياضة والمقاتلة في هذا المضمار .

